﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [ص: 53 - 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيتينِ لِما قبلَهما:

تأكيدُ حصولِ النَّعيمِ للمُتَّقينَ والبِشارَةُ بدَوامِه

لَمّا ذَكَرَت الآياتُ السّابقةُ النَّعيمَ لأهْلِ الطّاعَةِ؛ وقَدَّمَت ذَلِكَ العَذابَ لأهْلِ المَعْصيَةِ؛ ناسَبَ الانتقالَ إلى خطابِ المتّقين بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾[1]، لتأكيدِ ما سيكونُ لهم كأنَّهم قد حضروه واستقبلوا القادمَ من الزّمنِ، لوثوقِ وقوعِه، ويقين تحقُّقِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُوعَدُونَ﴾ (وعد) تَدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ. يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا ومَوْعِدًا وميعادًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ[2]، والمَوْعِدُ والميعادُ يَكونانِ مَصْدَرًا واسْمًا، فَأمّا الوَعيدُ فَلا يَكونُ إلّا بِشَرٍّ. يَقولونَ: أوْعَدْتُهُ بِكَذا. وكَذَلِكَ الإيعادُ يَكونُ في الشَّرِّ وحْدَهُ. ومِمّا تَضَمَّنَ الأمْرَينِ قَولُ اللّهِ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [يونس: 55]، فَهَذا وعْدٌ بِالقيامَةِ، وجَزاءُ العِبادِ إنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ[3]. والمُرادُ في الآيَةِ الوعدُ المَذْكورُ مِن حُسْنِ المَآبِ، أوْ توجيهُ الكَلامِ إلى أهْلِ المَحْشَرِ لِتَنْديمِ الطّاغينَ وإدْخالِ الحَسْرَةِ والغَمِّ عَلَيْهِم، والإشارَةُ إلى النَّعيمِ المُشاهَدِ[4].

2) ﴿نَّفَادٍ﴾: (نفد) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْقِطاعِ شَيْءٍ وفَنائِهِ. ونَفِدَ الشَّيْءُ يَنْفَدُ نَفادًا. وأنْفَدوا: فَنِيَ زادُهُمْ. ويُقالُ لِلْخَصْمِ مُنافِدٌ،

(1) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 403.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(3) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.

وذَلِكَ أنْ يَتَخاصَمَ الرَّجُلانِ يُريدُ كُلٌّ مِنْهُما إنْفادَ حُجَّةِ صاحِبِهِ[1]. والمُرادُ أنَّ نَعيمَ الجَنَّةِ، لا نَفادَ لَهُ، أيْ: لا انْقِطاعَ لَهُ ولا زَوالَ، وقدْ ذَكَرَهُ ﷻ في آياتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ تعالى فيهِ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: 108] وقَوْلِهِ تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96][2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بُشرَى المتَّقينَ في يـوم الـحِـسـابِ بالنَّعيمِ الدّائِمِ المُقيمِ

تُخاطبُ الآيتان الكريمتان المتَّقين بما سيكون لهم في الآخرةِ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أيْ: هذا الَّذي ذَكَرْناهُ لَكُم مِنْ نَعيمِ الجَنّاتِ، هوَ جَزاءُ إيمانِكُم وعَمَلِكُم الصّالِحِ مِن أجْلِ يَومِ الحِسابِ. ثُمَّ خَتَمَ سُبْحانَه جَزاءَهُم ببَيانِ أنَّهُ جَزاءٌ خالِدٌ لا يَنْقَطِعُ ولا يَنْقُصُ فَقالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾. أي: إنَّ هَذا الَّذي ذَكَرْناه لَكُم - أيُّها المُتَّقونَ - مِنَ الجَنّاتِ وما اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ مِنْ نَعيمٍ، هوَ رِزْقُنا الدّائِمُ لَكُم، ولَيْسَ لَهُ مِنْ نَفادٍ أوْ انْقِطاعٍ أوْ انْتِقاصٍ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بَلاغَةُ الاسْتِئْنافِ ونَوْعُهُ:

تأكيدُ البُشرَى السّابِقَةِ بِحُسْنِ المآبِ

جاءَ الاسْتِئْنافُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ اسْتِئْنافًا ابْتِدائيًّا، فَيَجوزُ أنْ يَكونَ كَلامًا قيلَ لِلْمُتَّقينَ وقْتَ نُزولِ الآيَةِ فَهو مُؤَكِّدٌ لِمَضْمونِ جُمْلَةِ: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[4]. ويَجوزُ أنْ يكونَ تَبْكيتًا للكافرينَ كَما سَيَأْتي.

تَعْيينُ مَرْجِعِ اسمِ الإشارَةِ:

الإشـــارَةُ إلى البُشْرَى السّابِقَةِ أو إلى مـا هـوَ مُشاهَدٌ عِنْدَهم مِنَ النَّعيمِ

في تَعْيينِ مَرْجِعِ الإشارَةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قَولانِ: الأوَّلُ أنَّه يعودُ على ما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِن قَوْلِهِ ﴿لَحُسْنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفد).
(2) الشّنْقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 39.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 174.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.

مَـَٔابٍ﴾، فاسْمُ الإشارَةِ هُنا مُغايِرٌ لاسْتِعْمالِهِ المُتَقَدِّمِ في قَوْلِهِ: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾، فَهو تأْكيدٌ لِما سَبَقَتِ البِشارَةُ بِهِ من النَّعيمِ للمُتَّقينَ. والثّاني: أنْ يَكونَ كَلامًا يُقالُ لِلْمُتَّقينَ في الجَنَّةِ بعْدَ أنْ استَقَرَّ بِهِم المُقامُ فيها، فَتَكونُ الجُمْلَةُ مَقولَ قَوْلٍ مَحْذوفٍ هو في مَحَلِّ حالٍ ثانيَةٍ مِنَ المُتَّقينَ، والتَّقْديرُ: مَقولًا لَهم: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾. والقَوْلُ: إمّا مِنَ المَلائِكَةِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: 32]، وإمّا مِن جانِبِ اللّه تعالى نَظيرُ قَوْلِهِ لِضِدِّهِمْ: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 181]، والإشارَةُ إذَنْ إلى ما هوَ مُشاهَدٌ عِنْدَهم مِنَ النَّعيمِ[1]. وفي ذَلِكَ امْتِنانٌ من اللّهِ على عِبادِهِ المُتَّقينَ، وتأكيدٌ للبُشْرى أو تذْكيرٌ بِما هُم فيهِ من النَّعيمِ.

دلالةُ اسْتِعْمالِ اسْمِ الإشارَةِ القَريبِ:

وَعْدُ اللهِ قَريبٌ مُتَحَقِّقُ الوقوعِ لا بُعدَ فيه ولا مَشَقَّةَ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ جيءَ باسْمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ الدّالِ على القَريبِ، تَنْزيلًا لِلْمُشارِ إلَيْهِ مَنزِلَةَ المُشارِ إلَيْهِ الحاضِرِ إيماءً إلى أنَّهُ مُحَقَّقٌ وُقوعُهُ تَبْشيرًا لِلْمُتَّقينَ[2]، وهذا على جَعْلِ الخطابِ لما سيكونُ في الآخرة، وقدْ يَكونُ استِعْمالُ اسمِ الإشارَةِ الدّالِ على القُربِ إلْماعًا لِقُرْبِ ذِكْرِ نَعيمِ أهْلِ الجنَّةِ في الآياتِ السّابِقَةِ، أو أنْ يكونَ من بابِ الحقيقةِ على ما معنى أن يكونَ المشارُ إلَيْهِ هو المستقرَّ في الذِّهنِ وقتَ الخطابِ، أي إنَّ مضمونَ الكلامِ هو ما سيقعُ في الآخرةِ.

نَوْعُ ﴿مَا﴾ ومَعْناها:

نعيمُ الجنَّةِ معلومٌ بالجملةِ لا بالتّفاصيل الحقيقيّة

جاءَتْ ﴿مَا﴾ في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ مَوْصولَةً بِمعْنى (الَّذي) أيْ: هَذا الجَزاءُ الَّذي وُعِدْتُمْ بِهِ لِأجْلِ يَوْمِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.

الحِسابِ[1]. وعَبَّرَ بـ﴿مَا﴾ دونَ (الَّذي) لأنَّ (ما) أقلُّ تَعريفًا منَ (الَّذي)[2]، ولمّا كان نعيمُ الجنَّةِ غيرَ معلومٍ على التّحقيقِ في صفاتِه وحقائقِه، ناسَب أن يأتي بما دون الّذي.

تَوْجيهُ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ، وبلاغتها:

الالتِفاتُ لِتَشْريفِ المتَّقينَ بِعِزِّ الحُضورِ لِخِطابِ اللَّهِ تعالى

وَرَدَ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قِراءَتانِ، فَقَرَأَ ابْنُ كَثيرٍ وأبو عَمْرٍو بالغَيْبِ ﴿يُوعَدُونَ﴾، وقَرَأَ الباقونَ بالخِطابِ﴿تُوعَدُونَ﴾[3]. فأمّا على قراءة الجُمْهورِ فهو عَلى الاحْتِمالِ الأوَّلِ - وهو أنَّ المُرادَ بالإشارة ما سبقَ ذِكْرُه من حُسْنِ المآبِ - التفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى الخِطابِ، لِتَشْريفِ المُتَّقينَ بِعِزِّ الحُضورِ لِخِطابِ الله تعالى، وعَلى الاحْتِمالِ الثّاني الخِطابُ لَهم عَلى ظاهِرِهِ[4]. ففي الالتفاتِ من الغَيْبَةِ إلى الخطابِ إرادَةٌ لِلَفْتِ أنْظارِهم، لِلتَّلْذيذِ بالخِطابِ؛ تَنْشيطًا لِهِمَمِهِمْ؛ وإيقاظًا لِقُلوبِهِمْ[5]؛ فَيَجِدّوا في سلوكِ طريقِ الأنبياءِ الصّابرينَ على الابتلاءاتِ في سبيلِ اللهِ سبحانه.

خِطابُ الغَيبَةِ مُوَجَّهٌ لِلطّاغينَ لِزيادَةِ التَّنْكيلِ عَلَيْهِمْ

وأمّا على قِراءةِ ابْنِ كَثيرٍ وأبي عَمْرٍو ﴿يُوعَدُونَ﴾ فهو عَلى الاحْتِمالِ الأوَّلِ التفاتٌ عَنْ تَوْجيهِ الخِطابِ إلَيْهِم، إلى تَوْجيهِهِ لِلطّاغينَ لِزيادَةِ التَّنْكيلِ عَلَيْهِمْ. والإشارَةُ إلى المَذْكورِ مِن حُسْنِ المَآبِ، وعَلى الاحْتِمالِ الثّاني كَذَلِكَ وُجِّهَ الكَلامُ إلى أهْلِ المَحْشَرِ لِتَنْديمِ الطّاغينَ وإدْخالِ الحَسْرَةِ والغَمِّ عَلَيْهِم، وللإشارَةِ إلى النَّعيمِ المُشاهَدِ[6].

غَرَضُ بِناءِ فِعْلِ ﴿تُوعَدُونَ﴾ للمَفْعولِ:

اعتِمادًا على مَعرِفَةِ فاعِلِهِ وشُهْرَتِهِ والعِلمِ به

جاءَ الفِعْلُ ﴿تُوعَدُونَ﴾ مَبْنِيًّا لِلمَفْعولِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿هَٰذَا

(1) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 503.
(2) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 1/ 138.
(3) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 361.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.
(5) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 403.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 283.

﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ اخْتِصارًا للكَلامِ على عادَةِ النَّظمِ الحكيمِ في بلاغَةِ الإيجاز، فَلَمْ يَقُل: (هذا ما وعَدْتُكم إيّاه)، وكثيرًا ما يُبْنى الفِعلُ للمفعول اعتمادًا على معرفَةِ فاعلِهِ وشُهرتِهِ والعِلْمِ بِهِ، فلا يُحتاجُ إلى ذِكْرِه للمخاطَبين، نحو قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: 28]، أي: خَلَقَ اللّهُ الإنسانَ ضعيفًا[1].

نَوعُ اللّامِ ومَعْناها:

في قولِ اللّهِ تباركتْ آلاؤه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ جاءَتِ اللامُ تَعْليليَّةً مُفيدَةً للاخْتِصاص، أيْ: لأجْلِ يَوْمِ الحِسابِ، فقدْ تَرِدُ اللّامُ بِما يُفيدُ التَّعْليلَ، بِمَعْنَى بُلوغِ الأجَلِ، كَما في قولِهِ تعالى: ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد: 2]، أيْ: كُلٌّ يَجْري لِهَذِهِ الغايَةِ كَما تَقولُ: كُلُّهُم يَجْري لِلْوُصول إلى الهَدَفِ ولِبُلوغِهِ. وجوِّزَ أنْ تَكونَ اللّامُ بِمَعْنى (بَعْدَ)، كَما في: (كُتِبَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِن جُمادى الآخِرَةِ)، مَثَلًا، وهو أقَلُّ مَؤونَةً[2].

اللامُ تَعْليليَّةٌ مُفيدَةٌ للاخْتِصاص، ويَجوزُ أن تكونَ بمعنى (بَعْدَ)

براعةُ ذِكْرِ يَوْمِ الحِسابِ دونَ نَعيمِ الجَنَّةِ:

جاءَ النَّظْمُ الحكيمُ باسْتِعْمالِ (يَوْمِ الحِساب) رُغْمَ أنَّ المُشارَ إلَيْهِ هوَ نَعيمُ الجَنَّةِ، فلم يقل: (هذا ما توعدون لدخولِ الجنَّة)؛ وذَلِكَ لأنَّ ما وُعِدوهُ إنَّما هوَ لأجْلِ طاعَتِهم، وأعْمالِهِمُ الصّالِحَةِ، وهي تَظْهَرُ بالحِساب، فَجُعِلَ كَأنَّهُ عِلَّةٌ لِتَوَقُّفِ إنْجازِ الوَعْدِ، فالنِّسْبَةُ لِلْيَوْمِ والحِسابِ مَجازيَّةٌ[3]، مع ما فيه من الموازنةِ بين التّرغيبِ والتّرهيب، فإنَّ اللّه تعالى يَعِدُ عبادَه المتّقين بالخيرِ العميم، ويُنبِّههم على أنَّهم لا ينالوه إلّا بعد الجزاءِ العادلِ، كي لا يَتَّكِلوا.

الموازنةُ بينَ التّرغيبِ والتّرهيبِ كي لا يَتَّكِلَ المتَّقون

(1) عتيق، علم المعاني، ص: 127.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205، والسّامرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 65.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.

دلالَةُ إضافَةِ (يَومِ) لِلَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾:

الحسابُ سيكونُ في زمنِ القيامةِ لا عندَ الوعدِ في الدُّنيا

أُضيف (يَوْم) لِلَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ للدّلالَةِ على أنَّ هذا اليومَ هوَ الَّذي يَقَعُ فيه الحسابُ، فالإضافةُ بمعنى حرفِ الظَّرفيَّةِ، والمُرادُ منَ الإضافَةِ بيانُ أنَّ هَذا الَّذي ذَكَرَه اللّهُ تعالى مِنْ صِفَةِ الجَنَّةِ الَّتي وعَدَها لِعِبادِهِ المُتَّقينَ إنَّما يَصيرونَ إلَيْها بَعْدَ نُشورِهِمْ وقيامِهِمْ مِنْ قُبورِهِمْ وسَلامَتِهِمْ مِنَ النّارِ[1].

مَعْنَى اللّامِ في لَفْظِ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾:

يَـوْمُ الحِسابِ مِـنَ الأمُـورِ المَعْهودةِ لدى كلِّ مُسْلِمٍ

جاءَتِ اللّامُ في كَلِمَة ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ للعَهْدِ الذِّهْنيِّ، والعَهْدُ الذِّهْنيّ هو أنْ يكونَ المُعرَّفُ بـ "أل" لم يُسبَقْ ذِكْرُه، ولا كانَ حاضِرًا وقْتَ الحَديثِ، ولا يُرادُ به الجِنْسُ، وإنَّما هو مَعْهودٌ في الذِّهْنِ مَعْلومٌ لَدى النّاسِ[2]. والحِسابُ هنا هو المَعْلومُ منَ الدّينِ بالضَّرورَةِ، فكانَ مَفْهومًا في سياقِ النَّظْمِ، وإنْ لَمْ يَجِئْ لَهُ ذِكْرٌ قَريبٌ.

بَلاغَةُ فَصْلِ الجُمْلَةِ عَنْ سابِقَتِها:

ثـبـاتُ الـوعْـدِ الإلهيِّ بالنَّعيمِ المُقيمِ لِلمُتَّقينَ

فَصَلَ البيانُ القُرْآنيُّ هَذِهِ الجُمْلَةَ عنْ سابقَتِها، فَلَمْ يَعْطِفْ بيْنَهُما بأيِّ أداةٍ منْ أدواتِ العَطْفِ، وذَلِكَ لِكَمالِ الاتصالِ بَيْنَهُما، فالجُمْلَتانِ خَبَريَّتانِ لَفْظًا ومَعْنًى، وجاءَتِ الجُمْلَةُ الثّانيةُ لِتأْكيدِ المَعْنَى الَّذي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ الأولى، وهوَ ثباتُ الوعْدِ الإلهيِّ بالنَّعيمِ المُقيمِ لِهَؤُلاءِ المُتَّقينَ، فَصارَ بيْنَهُما مِنَ التَّلاحُمِ والاتِّصالِ والتَّرابُطِ ما هوَ أقْوى وأشَدُّ من الرَّبْطِ الخارِجيِّ بحروفِ العطْفِ، فَتُرِكَ العَطْفُ بيْنَهُما لِقوَّةِ الاتِّصالِ المَعْنَويِّ والترابُطِ البَلاغيِّ[3].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 78.
(2) السّيوطيّ، الأَشباه والنَّظائر: 2/ 102، وحسن، النَّحْو الوافي: 3/ 374.
(3) فيّود، علم المعاني، ص: 446.

بَلاغَةُ التَّوْكيدِ وبراعتُه:

تَعَدَّدَتِ المُؤَكِّداتُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾، فَبَدأتِ الجُمْلَةُ بـ﴿إِنَّ﴾ الَّتي تُفيدُ التَّوكيدَ، فَإنَّ قَوْلَ القائلِ: (إنَّ زَيْدًا قائمٌ) نابَ مَنابَ تَكْريرِ الجُمْلَةِ مَرَّتَيْنِ إلّا أنَّ قَوْلَكَ: (إنَّ زَيْدًا قائمٌ) أوْجَزُ مِنْ قَوْلِكَ (زَيْدٌ قائمٌ، زَيْدٌ قائمٌ)، مَعَ حُصولِ الغَرَضِ مِنَ التَّأْكيدِ[1]. فجاءَ النَّظْمُ مؤَكِّدًا دوامَ الرِّزْقِ وعدمَ انقطاعِه. كَما تَخيَّرَ البيانُ القُرْآنيُّ الجُمْلَةَ الاسْميَّةَ الَّتي تُفيدُ الثَّباتَ والدَّوامَ والاسْتِقْرارَ. ثُمَّ بَلَغَ التَّأْكيدُ ذِرْوَتَه بدخولِ اللّامِ المُزَحْلَقَةِ عنَ الابتداءِ، الَّتي تُفيدُ زيادَةَ التَّوكيدِ، فَهي بِمَثابَةِ إعادَةِ الجُمْلَةِ، فاجْتَمع التَّوكيدُ بـ﴿إِنَّ﴾ وباللّامِ المُزَحْلَقَةِ، فَكانَ بِمَنْزِلَةِ تَكْرارِ اللَّفْظِ ثَلاثَ مَرّاتٍ[2]، بالإضافَةِ للتوكيدِ المُسْتَفادِ مِنَ الجُمْلَةِ الاسْميَّةِ، فأكدَّ ثباتَ هذا العطاءِ الإلَهيِّ ودَوامَه بِما لا مَزيدَ عليهِ، وهو من بديعِ التّوكيدِ الدّالِّ على توثيقِ عُرى الاعتقادِ بما أعدَّ اللّه تعالى لعبادِه المتّقين.

تَـأْكـيـدُ ثـبـاتِ العطاءِ الإلَهيِّ ودَوامِـه بِـما لا مَـزيـدَ عليهِ من أدواتِ التَّوكيدِ

بَلاغَةُ تَكْرارِ اسْمِ الإشارَةِ:

كَرَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ اسمَ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ في قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ بَعْدَ أنْ سَبَقَ ذِكْرُه في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ وذلكَ لِما لاسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ منْ دلالَةٍ تامَّةٍ كاملَةٍ على تَمْييزِ ما يُشارُ إليه، ويَكونُ التَّقْديرُ (إنَّ هَذا المُشارَ إلَيْهِ هوَ رِزْقُنا لِهَؤُلاءِ)، أوْ (إنَّ هَذا كَما وصَفْنا)، أضْمَرَ خبرَه[3]، وعلى كلِّ حالٍ جاءَ تَكْرارُ اسم الإشارَةِ للدَّلالةِ على تَمامِ الإنْعامِ والتَّفَضُّلِ بالنَّعيمِ المَوْعودِ لِهَؤُلاءِ المُتَّقينَ، كَما أنَّ في التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ إلْماعًا إلَى تَعْظيمِ ما وُعِدَ به المُتَّقونَ منْ جَزيلِ الثَّوابِ.

تَـمْـيـيـزُ نَـعـيـمِ المُتَّقينَ وتَعْظيمُه منْ تَمامِ الإنْعامِ والتَّفَضُّلِ

(1) ابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 526.
(2) ابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 526.
(3) النَّسَفيّ، التّيسير: 12/ 516.

نُكْتَةُ العُدولِ عنِ الضَّميرِ إلَى اسْمِ الإشارَةِ:

كَمالُ العِنايَةِ بِتَمْييزِ النَّعيمِ وتَوْجيهِ ذِهْنِ السّامِعِ إلَيْهِ

عَدَلَ النَّظْمُ الحَكيمُ عَنْ اسْتِعْمالِ الضَّميرِ (الهاءِ) فَلَمْ يَقُلْ: (إنَّه لَرِزْقُنا ما لَه مِنْ نَفادٍ)، بل اسْتَعْمَلَ اسمَ الإشارَةِ ليَعودِ علَى ما ذُكِرَ مِن ألْوانِ النِّعَمِ والكَراماتِ[1]، ولِكَمالِ العِنايَةِ بِتَمْييزِهِ وتَوْجيهِ ذِهْنِ السّامِعِ إلَيْهِ[2].

دَلالَةُ إضافَةِ لَفْظِ ﴿لَرِزْقُنَا﴾ إلَى ضَميرِ الجَمْعِ:

رِزْقُ أهْلِ الجَنَّةِ رِزْقٌ عَظيمٌ يَليقُ بالرَّزّاقِ الكريمِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أضافَ النَّظْمُ الحكيمُ الرِّزْقَ للّهِ ﷻ بضميرِ العَظَمَةِ، فالإضافةُ بمعنى (من)، أيْ: لرزقٌ منا، وهو الرِّزْقُ الَّذي يَسْتَحِقُّ الإضافَةَ إلَيْنا في مَظْهَرِ العَظَمَةِ[3]، فَرِزْقُ أهْلِ الجَنَّةِ رِزْقٌ عَظيمٌ يَليقُ بالرَّزّاقِ الكريمِ تعالى، ومِنْ هُنا كانتِ الإضافَةُ إضافَةَ تعظيمٍ وتَشْريفٍ.

نَوْعُ ﴿مَا﴾ ودَلالَتُها:

نَعيمُ أهْلِ الجَنَّةِ خالِدٌ، لا يَنْقُصُ مِنْه شَيءٌ أبَدًا

جاءتْ ﴿مَا﴾ نافيَةً في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾، فَنَفَتِ انْقِطاعَ الرِّزْقِ عنْ أهْلِ الجَنَّةِ، إذ هوَ مُتَجَدِّدٌ أبَدًا، مُسْتَمِرٌّ لا يَنْفَدُ، فَهوَ نَعيمٌ خالِدٌ، لا يَنْقُصُ مِنْه شَيءٌ أبَدًا، علَى كَثْرَةِ الواردينَ عَلَيْهِ[4]. وهيَ آكَدُ مِنْ (لَيْسَ)؛ فَإنَّها تَقَعُ جَوابًا للقَسَمِ، تَقولُ: (واللّهِ ما هوَ بِمُنْطَلِقٍ) بِخِلافِ (لَيْسَ)، وهيَ أوْسَعُ اسْتِعْمالًا مِنْها أيْضًا، فَـ (لَيْسَ) مُخْتَصَّةٌ بَنفْيِ الجُمَلِ الاسْميَّةِ، وأمّا (ما) فَتَنْفي الجُمَلَ الفِعْليَّةَ والاسْميَّةَ[5]، ومِنْ هُنا كانَ نَفْيُ النَّفادِ بِـ﴿مَا﴾ أشَدَّ دلالَةً على اسْتِمْرارِ العَطاءِ الجَزيلِ لأهْلِ الجَنَّةِ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 205.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 284.
(3) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 404.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1103.
(5) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 4/ 191.

دلالَةُ حَرْفِ ﴿مِن﴾:

أفادَ حرفُ ﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ مَعْنى التَّوكيدِ والاستِغْراقِ، وذَلِكَ عَلَى ما يتَّضِحُ من قولِكَ: (ما جاءَني مِنْ رَجُلٍ) و(ما رَأَيْتُ مِنْ أحَدٍ)، فَقَوْلُكَ: (ما جاءَني رَجُلٌ) يَحْتَمِلُ أنَّهُ لَمْ يَأْتِكَ أحَدٌ مِنَ الجِنْسِ، ويَحْتَمِلُ أنَّهُ لَمْ يَأْتِكَ رَجُلٌ واحِدٌ بَلْ أكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. فَإذا قُلْتَ: (ما جاءَني مِنْ رَجُلٍ) نَفَيْتَ أنْ يَكونَ جاءَكَ أحَدٌ مِنَ الجِنْسِ، وصارَ النَّفْيُ نَصًّا في الجِنْسِ[1]. فبذَلِكَ يتأكَّدُ نَفْيُ النَّفادِ تَأْكيدًا تامًّا، فَليسَ ثَمَّةَ نفادٌ أبدًا، لاستِغْراقِ نَفْيِه بِـ﴿مِن﴾، فلا نفادَ مُطْلقًا لِنَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ.

تأكيدُ نَفْيِ النَّفادِ واستِغْراقُه فلا نَفادَ مُطْلقًا لِنَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ

فائدةُ اخْتيارِ مُفْرَدَةِ ﴿نَّفَادٍ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التّعبيرَ بِمُفْرَدَةِ (النَّفادِ) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ للدّلالةِ علَى استِمْرارِ نَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ، دونَ غَيرِها من المُفْرَداتِ المُقارِبَةِ لَها في هذا السّياق، وذَلِكَ للتَّعبيرِ عنْ أنَّ عطاءَ اللّهِ للمُتَّقينَ لا انْقِطاعَ فيه، بَلْ هو كالماءِ المُتَواصِلِ في نَبْعِه؛ كُلَّما أُخِذَ مِنهُ شَيْءٌ أخْلَفَ في الحالِ؛ بِحَيْثُ إنَّهُ لا يُمَيَّزُ المَأْخوذُ مِنَ المَوْجودِ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ؛ فَيَكونُ في ذَلِكَ تَلْذيذٌ؛ وتَنْعيمٌ لِأهْلِ الجَنَّةِ بِكَثْرَةِ ما عِنْدَهُ؛ وبِمُشاهَدَةِ ما كانوا يَعْتَقِدونَهُ ويُثْبِتونَهُ للّه مِنَ القُدْرَةِ عَلى الإعادَةِ في كُلِّ وقْتٍ؛ جَزاءً وِفاقًا؛ عَكْسَ ما يَأْتي لِأهْلِ النّارِ[2]، وهو توكيدٌ لمعنى الخلودِ في جنّاتِ عدنٍ.

تـوكـيـدُ معنى الخلودِ في جنّاتِ عدنٍ

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿نَّفَادٍ﴾:

جاءَتْ كَلِمَةُ ﴿نَّفَادٍ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾، نَكِرَةً في سياق الامتنان من الله على عباده، ومثل هذه

امْتِنانٌ مِنَ المَنّانِ سبحانَه على عبادِه الطّائِعينَ

(1) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 81.
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 404.

الصيغة تفيد العُمومَ والشُّمولَ[1]، فَأفادَ التَّنْكيرُ معَ النَّفْيِ هنا تأكيدَ استِمْرارِ العَطاءِ الإلهيِّ لأهلِ الجنانِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّفادُ والانْتِهاءُ:

النَّفادُ يَدُلُّ عَلَى انْقِطاعِ شَيْءٍ وفَنائِهِ. والمَعْنَى المِحْوَريُّ فَناءُ ما يَتَأتَّى مِنَ الشَّيْءِ، أوْ يَتَأتَّى لَهُ[2]. وأمّا الانْتِهاءُ فَيَدُلُّ على غايَةٍ وبُلوغٍ. ومِنْهُ أنْهَيْتُ إلَيْهِ الخَبَرَ: بَلَّغْتُهُ إيّاهُ. ونِهايَةُ كُلِّ شَيْءٍ: غايَتُهُ. ومِنْهُ نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وذَلِكَ لِأمْرٍ يَفْعَلُهُ. فَإذا نَهَيْتَهُ فانْتَهَى عَنْكَ فَتِلْكَ غايَةُ ما كانَ وآخِرُهُ[3]. وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [القمان: 27]؛ أي: ما انقَطَعَتْ ولا فَنِيَتْ[4].

النَّفادُ انْقِطاعُ الشيءِ وفَناؤُه، والانتهاءُ بُلوغُ الغايَةِ

(1) الشَّنْقيطيّ، أضواء البيان: 2/ 416.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نفد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهي).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نفد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»